العرب في حيرة أم شلل ؟!

جميل مطر

ترددت أخبار عن أن واشنطن تدرس التدخل عسكريا في سوريا لقصف مواقع داعش فيها. أنا شخصيا لا أستبعد أن تكون هذه نية واشنطن وأن قرارا بهذا المعنى سوف يصدر قريبا. أتصور أن النظام الحاكم في سوريا سيكون سعيدا بهذا القرار متمنيا إن لم يكن بالفعل مطمئنا إلى أن مجالات القصف لن تشمل قواعد عسكرية للنظام السوري، وفي ظني أن الأمريكيين لن يقدموا بعد الآن على تدمير جيش سوريا ولا أي جيش عربي آخر. من ناحية أخرى لا اعتقد أن تركيا وأطرافا عربية مهمة، ليس بينها مصر، ستكون سعيدة بهذا القرار.

لا أحد، ربما باستثناء بعض الأجهزة الاستخباراتية الدولية، يعرف على وجه اليقين النوايا الحقيقية والكلية لبعض حكومات المنطقة تجاه تطورات موضوع داعش. كان سلوكا غريبا جدا ولافتا لنظر العالم الخارجي أن تنتظر الحكومات العربية اجتماع مجلس الأمن الدولي، لتعلن شجبها وإدانتها باللهجة نفسها التي استخدمتها دول من خارج الشرق الأوسط، دول لم تتأثر مباشرة بغزوات داعش، بل أنها لم تقرر أن تجتمع، ولو بعدد صغير، من أجل هذا الموضوع وإن تحت عنوان مختلف إلا بعد مرور وقت طويل.

هذا الموقف، أو اللا موقف، العربي كان له مغزاه في عواصم غربية، وبخاصة في واشنطن ولندن وباريس. المغزى في رأيي، وفيما سمعت، لم يخرج عن زيادة تأكيد لقناعة غربية باتت لا أمل يرجى في أن يشارك العرب بإيجابية وإبداع وبثقة في النفس والمصير في صنع المرحلة القادمة من مراحل تطور إقليم الشرق الأوسط. مرة أخرى تتأكد ثقة الغرب في عجز الطبقات الحاكمة العربية عن اختيار صيغة «عربية» لنظام يجمعهم. ما زال الحكام العرب في انتظار نظام يأتيهم من قوى خارجية، كانت في التجربة السابقة قوى غربية، وقد يضاف إليها في التجربة القادمة دولتان إقليميتان غير عربيتين. وتتردد اجتهادات من بينها أنه سيكون منطقيا أن يوضع في الاعتبار عند الاختيار ما قدمته الدول من جهود خلال المرحلة الراهنة، مرحلة فك الحصار الإرهابي عن المنطقة.

•••

من مظاهر الحيرة العربية، أو لعله الشلل العربي، اختلاف رؤى العواصم العربية حول أسباب عودة أمريكا إلى التدخل عسكريا ولو من الجو في العراق. يهمس مسئولون في عواصم بعينها، «إنه الإلحاح العربي على ضرورة التدخل العسكري الأمريكي مع وعود قوية بدعم عربي مالي واستخباراتي، وبقرارات تأييد من جامعة الدول العربية» يصرح آخرون أن الأمريكيين عادوا يتدخلون لأغراض إنسانية، وأن أوباما لم يكن يستطيع أن يتجاهل الأعمال الوحشية في شمال العراق فيكرر تجربة الرئيس كلينتون عندما تجاهل عمليات الإبادة الجارية في رواندا. هكذا يجرى تبرير تدخل أوباما لإنقاذ أقليتين عراقيتين حاصرتها قوات داعش وهددت بإبادتهما، هكذا أيضا يجرى تبرير عدم التدخل حتى الآن في سوريا، فداعش لم تنفذ هناك عمليات إبادة ضد أقلية من الأقليات.

•••

ما لا تتحدث فيه أو عنه العواصم العربية هو أن هذا التدخل الأمريكي، وهو الثالث أو الرابع، يقع لأن شمال العراق غني بالنفط، على عكس الحال في رواندا التي تخلت عنها «الإنسانية الأمريكية» أو سوريا التي لم يتخذ بعد قرار بشأن التدخل فيها.

كثيرون لم ينتبهوا إلى ما نشرته صحيفة ميامي هيرالد في هذا الشأن، عندما ذكرت أن جهاز الاستخبارات الأمريكية CIA يحتفظ في ضواحي مدينة أربيل الكردية بقاعدة تجسس ونصنت، لعلها من بين الأكبر والأقوى في الشرق الأوسط، ومخصصة لتغطي كافة الاتصالات التي تنتقل عبر الفضاء الإيراني.

هم أيضا، وأقصد بعض العرب وبخاصة المسئولون بينهم، في حيرة، وربما شلل، حول موضوع العلاقات الإيرانية الأمريكية. الجديد في هذا الملف هو تصعيد التفاهم إلى حد كاد يقترب من أن يصير تحالفا وإن في قضية محددة، هي وقف تقدم داعش في العراق. تبدأ الحيرة هنا، إلى أي مدى الطرفان مستعدان للذهاب، وإلى أي عمق مستعدان للغوص. لم يكن غريبا والحيرة على ما هي عليه أن نقرأ عن دور «يلعبن» أن تقوم به إيران قريبا لتسوية «المسألة السورية» بعد أن ساهمت في جهود تسوية «المسألة العراقية»، وعن دور أساسي في فك الجمود في الساحة اللبنانية، وتحريك مختلف الأطراف اللبنانية نحو مصلحة مشتركة. مرة أخرى يستعد أهل الخارج لتسوية «مسائل عربية» في غياب العرب، فكان أن اجتمع عدد صغير من وزراء الخارجية العرب قبل أيام، حسب علمي، لم يخرج عن الاجتماع ما يشير إلى أن «تسوية عربية» للمسألة السورية صارت جاهزة وعلى وشك أن تعلن.

ما زال في بعض العواصم العربية من لم يفهم بعد طبيعة مصر، والدور الذي تستطيع أن تلعبه منبثقا من طبيعتها وليس متضاربا أو متناقضا معها. مضت أربعون سنة تعرضت مصر الرسمية خلالها لعملية غسيل مخ، لتخرج بعدها دولة مقتنعة ومؤمنة ومعبأة بفكرة أنها جزء سياسي وأساسي من «سنة» الشرق الأوسط . حاولوا أيضا، بمختلف أدوات الدعوة والإرشاد والتوجيه والتمويل، فرض طبيعة جديدة محل طبيعة مصر وشعبها، اختاروا لمصر اعتناق نهج متشدد من أفكار السنة وممارساتها، في محاولة جريئة ونموذجية لتغيير معتقدات شعب وطريقة حياته والعلاقات بين أفراده وعلاقات دولته بالدول الأخرى. لم يتحقق كل ما أرادوا، بل فشلوا. الآن يدفع المصريون ثمن استسلام العديد من أفراد نخبهم الدينية والسياسية لغزو أفكار ومشروعات وهبات وهدايا موقعة بخاتم «السُنة المتطرفة».

•••

أخطأ هؤلاء، وأتباعهم ومريدوهم من المصريين، حين حاولوا إجهاض ثورات الربيع العربي. كانت الثورات متواضعة الأهداف، تطالب بحريات وحقوق وعدالة في التوزيع. أجهضوها فخرجت من أحشائها جحافل من شباب لم يعد يثق في الإصلاح والعمل السلمي الهادئ. لا يؤمن الآن إلا بالتشدد والتطرف، لا يؤمن إلا بالقتل والإبادة والقضاء نهائيا على كافة رموز لطبقات الحاكمة العربية. يدمر ويتهب ويذبح ويقيم الخلافة.

أخطأوا مرة ومرات، ولم يعترفوا بالخطأ، وها هم يكررون خطأ كلاسيكيا التصق بهم والتصقوا به عبر العقود. ها هم يمتنعون، حيرة أم شللا، عن اتخاذ قرار «عربي» في شأن مصير النظام العربي، تاركين أمر المصير لدول غير عربية.

حيرة مزمنة أم فشل محكم ؟!

عن «الشروق» المصرية

هل يمكن تفادي تفكيك العراق؟!

عثمان ميرغني

إذا سارت الأمور على المنوال الذي نراه اليوم، فإن العراق بشكله الذي عرفناه به لن يبقى طويلا. هناك مؤشرات قوية على أن الأمر لم يعد مجرد كلام للتخويف، أو من قبيل المبالغة، أو لتكرار الأحاديث القديمة عن نظرية المؤامرة. فالواقع على الأرض يرسخ الانقسام الشيعي – السني – الكردي، والتشرذم السياسي يزيد من حالة العجز والتخبط، بينما العنف المستمر يغذي الاحتقان وروح التشفي والانتقام. دخول «داعش» على الصورة زادها تعقيدا وأعطى البعض مسوغا إضافيا للدفع بطروحات التقسيم إلى الواجهة.

المحزن أن الكلام عن تقسيم العراق ليس جديدا، لكن لم يتخذ من السياسات ما يعطي البلد مناعة ضد حدوثه، بل بقي الأمر يغلي تحت السطح بسبب ممارسات سياسية جانحة داخل العراق، وتدخلات إقليمية ودولية، إضافة إلى الخلافات السياسية العربية التي أحدثت حالة غير مسبوقة من العجز والإحباط في المنطقة. المؤامرات الخارجية موجودة ولا يمكن لعاقل أن ينفي وجودها، لكن المسؤولية تقع دائما على الدول المتضررة أو المستهدفة لتحصين نفسها وشعوبها ضد هذه المخاطر والتدخلات بتعزيز وحدتها الوطنية، ليس بالشعارات بل بالسياسات التي تضع المواطن والمواطنة فوق أهواء السياسة واعتبارات التمسك الأبدي بكرسي الحكم.

لقد كان معروفا منذ أزيد على 40 عاما، أن هناك أطرافا تروّج لتقسيم العراق، وكتب الكثير عن مشروع هنري كيسنجر الذي يعود إلى النصف الأول من سبعينات القرن الماضي لتقسيم العراق ودول عربية أخرى لوضع خريطة جديدة للمنطقة على أسس عرقية وطائفية، كما جرى الحديث في الثمانينات والتسعينات عن مشاريع أميركية وإسرائيلية لتقسيم العراق إلى أقاليم سنية وشيعية وكردية، أعقبه في بداية الألفية الجديدة وتحديدا خلال السنوات التي سبقت ثم أعقبت الغزو الأميركي للعراق في عام 2003 حديث في العلن للمحور الأميركي والدوائر المؤيدة لإسرائيل عن التقسيم.

من بين المشاريع المثيرة للجدل كان القرار الذي تبناه مجلس الشيوخ الأميركي في سبتمبر (أيلول) عام 2007 لتقسيم العراق إلى ثلاث فيدراليات كحل للأزمة التي تفاقمت بعد الغزو وقادت إلى حرب أهلية طائفية. اللافت أن مشروع ذلك القرار تبناه وقدمه للتصويت جو بايدن الذي كان وقتها رئيسا للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ. وقد عاد بايدن أخيرا من موقعه كنائب للرئيس الأميركي إلى طرح مشروع التقسيم الفيدرالي كحل للأزمة العراقية تحت عنوان «حل الدول الثلاث» خصوصا بعد دخول «الدولة الإسلامية» الغامضة على الخط.

بغض النظر عن نظرية المؤامرة فإن الكلام القديم عن التقسيم كان يفترض أن يشحذ همم العراقيين قبل غيرهم لتمتين وضعهم الداخلي ببناء وحدة وطنية حقيقية، وهوية جامعة لكل مكونات المجتمع وأطيافه، والاعتراف بحقوق كل هذه المكونات وفتح أبواب المشاركة في السلطة وتقاسم الموارد، بما يرسخ حقوق المواطنة وروح الانتماء للوطن. المشكلة أن كل الأنظمة التي تعاقبت على العراق تعتبر مسؤولة بشكل أو بآخر عما آلت إليه الأوضاع اليوم، بما في ذلك نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين الذي يقول البعض اليوم إنه لو بقي حاكما لما كان العراق على حافة التفتت. الذين يقولون بهذا يغضون الطرف عن أن الكثير من سياسات القمع التي مورست ضد الجميع بلا استثناء لكن بشكل خاص وأكثر دموية ضد الأكراد ثم ضد الشيعة عقب «انتفاضة» 1991، أججت الأوضاع وزادت من الاحتقان وأسهمت في تراكم العوامل المؤدية إلى التفتت لا التوحد، مثلما أن الصمت العربي تجاه المذابح والتجاوزات التي حدثت، غذى مشاعر الغبن.

نوري المالكي أضاع كذلك فرصة كبرى لبناء عراق جديد يحترم التنوع وحقوق كل المكونات، ويسمو عن الحسابات الطائفية الضيقة والثارات القديمة، فانغمس في صراعات السلطة والتسلط، ودخل في تجاذب مع الأكراد، وتجاهل مظالم وشكاوى السنة العرب. النتيجة لم تكن إضعاف العراق وإدخاله في صراعات داخلية استنفدت كل طاقاته فحسب، بل فتحت الأبواب أمام المتطرفين من كل حدب وصوب، ووضعت البلد أمام حافة التفكك والتقسيم.

العراق يحتاج إلى معجزة تجعل كل الأطراف المعنية داخليا وخارجيا تدرك أن التقسيم لن يعني بالضرورة الاستقرار ونهاية الاحتراب، خصوصا في الظروف الراهنة، لكن بما أن الرجوع إلى الصيغة الماضية بكل عاهاتها يبدو صعبا إن لم يكن مستحيلا فإن العراقيين يحتاجون إلى مؤتمر قومي جامع يبحثون فيه أزمتهم بصدق وشفافية، ويتفقون على صيغة بالتراضي ودستور جديد لا يقنن الطائفية بل يؤمن الحقوق للجميع من منطلق المواطنة والتكافؤ. البديل لذلك هو الاستعداد للتقسيم بكل ما يعنيه من مشكلات وقلاقل داخلية وإقليمية. مفتاح الحل والعقد سيكون هذه المرة بيد الأكراد، فهم رمانة الميزان في هذا الوضع المعقد.

عن «الشرق الأوسط» اللندنية

بلدة آمرلي العراقية المحاصرة بحاجة ماسة إلى المساعدة الأمريكية

مايكل نايتس

يبدو أن المجتمع الدولي استفاق أخيراً في نهاية الأسبوع الماضي وأدرك الأزمة الإنسانية التي تلوح في أفق بلدة آمرلي في شمال العراق والتي تضم نحو 12 ألف تركماني من الطائفة الشيعية التي تتعرض منذ أكثر من ستين يوما لهجمات تنظيم «الدولة الإسلامية». وفي تغريدة لرئيس "بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق" نيكولاي ملادينوف يوم السبت على موقع تويتر، حث الأسرة الدولية "على فك الحصار عن "آمرلي وضمان إيصال المساعدات الإنسانية إليها."

وتجدر الإشارة إلى أن آمرلي تمثل المجتمع الشيعي الأكبر والوحيد الذي لا يزال يقع وراء الخطوط الأمامية لـ تنظيم «الدولة الإسلامية». ففي البلدات المجاورة حيث وقعت العائلات التركمانية الشيعية في الأسر، عمدت «الدولة الإسلامية» إلى تقسيم هذه العائلات حيث أخذت الرجال والفتيان للقتل ورحّلت النساء والفتيات بالحافلات لاستخدامهن كدروع بشرية أو بيعهن كسبايا أو أحياناً لاغتصابهن وقتلهن.

والآن يبدو أن «الدولة الإسلامية» تضاعف جهودها لاكتساح البلدة. فمراكزها العسكرية تبعد أقل من ميل عن المحيط المؤقت الذي رسمه سكان المنطقة غير المسلحين بما يكفي لقتال عناصر «الدولة الإسلامية»، بينما لا تسمح صواريخ التنظيم بقيام المروحيات العراقية بتزويد البلدة بالإمدادات ونقل الفئات الأضعف من السكان. وإذا ما فشل هذا الدفاع الهش سنجد أنفسنا أمام مجزرة مشابهة لتلك التي ارتُكبت في سربرنيتسا في تموز/يوليو 1995 بحق أكثر من 8000 مدني من البوسنة تحت أنظار الأمم المتحدة.

ومع وجود ملاذ آمن على بعد أربعة أميال فقط في المنطقة الشمالية الخاضعة للسيطرة الكردية، ينبغي على الأسرة الدولية وتحديداً الولايات المتحدة التدخل فوراً لتسهيل فتح ممر للإغاثة إلى آمرلي. فتواجد آلاف المدنيين الشيعة في المناطق الخاضعة لسيطرة «الدولة الإسلامية» يمنح هذا التنظيم فرصة لإثارة نعرات طائفية من شأنها أن تطغى على جرائمه السابقة وتغرق العراق في موجة تفكك واسعة النطاق يتعذر الشعافي منها. فإذا قامت الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران بتحرير آمرلي بمفردها، قد تتحول أي عملية إغاثة إلى تورانٍ طائفي عندما تبدأ هذه القوات بالانتقام من السنة المحليين. ولكن إذا عملت الولايات المتحدة على تسهيل المساعي المشتركة لتحرير آمرلي على غرار العملية الأخيرة التي تمت من خلالها استعادة سد الموصل، فإن القتال ضد «الدولة الإسلامية» فضلاً عن الجهود المبذولة لتحقيق الاستقرار في العراق ستستمد قوة أكبر كمثال آخر على التعاون بين الحكومة الاتحادية و «حكومة إقليم كردستان». بالإضافة إلى ذلك، يوفر رفع الحصار عن البلدة إمكانية تحقيق نصر لا مثيل له على ثلاث جبهات: فبغداد وإيران ستحميان بذلك مجتمعاً شيعياً مهماً، كما أن كردستان ستظهر للأقليات غير الكردية المقيمة في مناطقها بأنها ستؤمّن لها الحماية، بينما ستضطلع تركيا بمسؤولياتها، كحامية تاريخية للتركمان، وذلك على الأرجح من خلال تنظيم إجلاء طبي جوي كما فعلت سابقاً حين تعرضت البلدة لانفجار بشاحنة مفخخة في عام 2007.

لقد حاول العراقيون مراراً وتكراراً تحرير آمرلي بأنفسهم، لكن دون جدوى. ففي الثامن من آب/أغسطس، سعت مجموعة من عناصر الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران إلى اختراق المنطقة من ناحية الشمال، غير أن إحدى دبابات «الدولة الإسلامية» كانت لهم بالمرصاد وقضت على تلك المجموعة. وفي الواقع كان بإمكان مروحية أمريكية واحدة القضاء على تلك الدبابة دون وقوع أي خطر تقريباً على القوى الصديقة أو المدنيين.

وبما أنني عملت في العراق لما يزيد عن عقد من الزمن، فلن أشجع بخفة الجيش الأمريكي على استخدام القوة على اختلاف أشكالها. بيد، تشكل آمرلي فرصة واضحة بشكل غير عادي للحد من المعاناة البشرية وإضعاف «الدولة الإسلامية» والقضاء على خطر رئيسي يهدد الاستقرار الأساسي في العراق. وليست هذه الخطوة قمة منحدر يؤدي إلى التصعيد غير المتعمد: وفي الواقع تعتبر آمرلي حالة مروعة على نحو فريد ولها حل بسيط وقابل للتحقيق – وهو شن ضربات جوية أمريكية منسقة يرافقها هجوم مشترك بين بغداد و«حكومة إقليم كردستان» وهدفها فتح ممر إنساني. وتحلق فوق العراق حالياً مروحية "بريداتور" مزودة بصاروخ من نوع "هيلفاير"، وربما سيُطلق هذا الصاروخ يوماً ما على دبابة قديمة خارج الخدمة في حقل تدريب حين تنتهي مدة صلاحيته.

أو يمكن إطلاقه اليوم وإنقاذ 12 ألف شخص.

عن «معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى»